سكك الرومان

دعت الجرائد اليومية تبحث في سكة السودان الحربية والغاية منها وجواز بيعها والنظر الى امة عظيمة اشتهرت بالفتح وعدّت السكك الحربية ركناً من اركان سلطتها وهي امة الرومان العظيمة فقد قلنا في مقالة اخرى في هذا الجزء ان الرومان كانوا يصنعون خرائط البلدان لجيوشهم ويرسمون السكك التي فيها ارشاداً لهم. وهم الذين انشأوا تلك السكك لتسير فيها جيوشهم فرساناً ومشاة ولم تزل آثارها في كل البلدان التي استولوا عليها شاهدة لهم بالمهارة والسبق في هذا المضمار. وكانت سككهم كلها توصل الى رومية عاصمة ملكهم وفريدة مجدهم

السكة الاولى تبتدئ من رومية وتسير جنوباً الى ان تبلغ مدينة برندزي وهناك القوارب تنتظر المسافرين فتعبر بهم الى مدينة دراز و في مكدونية فيسيرون منها في سكة ممتدة على خط مستقيم الى القسطنطينية (بزنطيوم) ويعبرون منها الى آسيا ويسيرون جنوباً الى انطاكية فمراحل الشام الى ان يصلوا الى القدس الشريف وتتفرع من القدس طرق مختلفة بعضها يسير الى مصر وبعضها الى ما بين النهرين

والسكة الثانية تبتدئ من رومية ايضاً وتسير الى الشمال الشرقي ويمرّ فرع منها ببلاد النمسا والبوسنة والسرب والبلغار الى البحر الاسود ويسير الفرع الآخر شمالاً الى جنوبي المانيا

والثالثة تبتدئ من رومية وتمتد الى الشمال توًّا ويمرّ بقرب جنوى ومرسيليا ثم يتفرّع منها فرعان احدهما يخترق بلاد فرنسا ويمرّ بمدن كثيرة الى بولون وهناك المراكب تعبر بالمسافرين الى بريطانيا والآخر يسير من مرسيليا الى اسبانيا فيخرقها من طرف الى طرف

هذا من حيث السكك السلطانية الكبيرة اما السكك الصغيرة فكانت ممتدة في كل الاقطار والاقاليم الخاضعة للسلطة الرومانية في اوربا وآسيا وافريقية. وكان طول السكة من سور انطونيوس في بريطانيا الى آخر المملكة الرومانية في العراق عند اطراف بلاد فارس اربعة آلاف وخمس مئة ميل يسير فيها الجنود والبرد من طرف الى طرف ويمر عليها التجار وابناء السبيل آمنين كأنهم في رومية

وكثير السكك الرومانية ممتد في خطوط مستقيمة وكانت الحكومة الرومانية اذا عزمت على انشاء سكة في مكان تستولي اولاً على كل الارض اللازمة لتلك السكة من غير ان تعوض على اصحابها ثم تخرق لها الجبال وتبني لها التناظر في الاودية والجسور فوق الانهار حتى لا

تنحرف عن استقامتها الاَّ حيثما يضطر سيرها في خط مستقيم او حيث تدعو الحال الى تعريجها لتمرَّ بالمدن المختلفة

وكانوا على تمام مهارة في تخطيط هذه السكك وانشائها كما يظهر مما بقي منها الى الآن . فكانوا يجرون في انشائها على هذا الاسلوب : يخططون السكة اولاً ويدقون اوتادًا تدل عليها حتى يكون عرضها من ثماني اقدام الى عشرين قدمًا ثم ينزعون التراب منها الى ان يصلوا الى طبقة الطفال فيدقونها بالمدقات حتى تتصلَّب ويبسطون عليها طبقة من الحجارة الصغيرة ويدقونها بالمدقات ايضًا حتى تغور في الطفال وتتماسك به ويبسطون فوق هذه طبقة من الحصى والرمل والنطير ثم طبقة اخرى من الحصى والرمل والجير الكلس) وبعدها طبقة من الحجارة المكسَّرة والطين وفوق ذلك طبقة سميكة من الحجارة الصوانية الكبيرة مما في حجم راس الانسان فاكبر الى ما يقارب الزير الكبير . وكانوا يخلطون هذه الحجارة ويلصقونها بعضها ببعض من جوانبها حتى يكون منها سطح مستوٍ خالٍ من المرتفعات والمنخفضات والشقوق وبعضها لم يزل كذلك الى يومنا هذا مع انهُ مرَّ عليهِ اكثر من الفي عام . وكانت هذه الحجارة تقطع احيانًا في اشكال مسدَّسة ويلصق بعضها ببعض الصاقًا محكمًا جدًّا حتى قد لا يُرى الفاصل بين حجر وآخر الاَّ من اختلاف لونيهما ويكون ذلك في جوار المدن

وكان وسط الطريق ارفع من جانبيها وعلى الجانبين خندق تجري فيهِ المياه . واذا خيف من ان يتلف السكان طريقًا بُني على جانبيها حائط يقيها منهم . ولم يكن يُسمَح ببناء البيوت على اقرب من مئتي قدم الى الطريق ولا ان تغرس الاغراس بجانبها لكي تبقى مكشوفة فلا يكون بقربها محل للصوص وقطَّاع الطريق يرصدون فيهِ

وكانوا ينصبون حجرًا بجانب الطريق على كل نصف ميل يُستعان بهِ على الركوب والترجُّل ويضعون مقاعد في بعض الاماكن ليستريح عليها المشاة واذا كان بقرب الطريق ينبوع علقوا بهِ طاسًا وربطوهُ بسلسلة لكي يشرب بهِ السابلة

والغرض الاول من تلك الطرق حربي فلم يكونوا يحبون انهم تغلبوا على بلاد وتسلطوا عليها الاَّ اذا مهدوا طرقها لجنودهم . وكان الخارجون عن طاعتهم يبدأون العصيان بتخريب الطرق لكنهم لم يكونوا يفلحون في ذلك الاَّ نادرًا لمتانة رصفها حتى انها لا تتلف الآن الاَّ بواسطة البارود

والعمَّال في تلك الطرق الجنود وقت السلم والشعب كلهُ اذا دعت الحال الى ذلك والاسرى على الدوام وهي مقسومة اميالاً وعلى كل خمسة اميال محطة للبريد فيها اربعون فرسًا

مستعدة لتقبل غبار فكان يتنقل مئة ميل في اليوم الواحد. مثال ذلك انهُ لما ثار اهل انطاكية في عهد ثيودوسيوس وصل خبر ثورتهم منها الى القسطنطينية في ظهيرة اليوم السادس والمسافة بينهما ٩٥٦ ميلاً من امياله

هذه زبدة ما بقي في الطرق الرومانية القديمة الباقية آثارها في هذا القطر والقطر الشامي وكل البلدان التي تسلط الرومان عليها . ولولا البخار الذي ركّب المركبات خطوط الحديد لقلنا ان ابناء هذا العصر قد قصّروا عن شأو هم في ما انشأوهُ من السكك كما قصّروا عنهم في كثير من ضروب الابهة والمجد

كلام كوخ على الطاعون

حضر الاستاذ كوخ جلسة جمعية الصحة العمومية الالمانية في السابعة من الشهر الماضي (يوليو) وخطب فيها خطبة نفيسة موضوعها الطاعون شرح فيها كيفية ظهوره في العراق العجمي وبلاد فارس وبلاد الصين والهند منذ عشر سنوات الى الآن وقال ان الاطباء وجمهور الباحثين زعموا قبل ظهوره ان شأفتهُ انقطعت من المكونة وجرثومتهُ استئصلت منها فصار الناس يأمنون منهُ لكن ظهورهُ هذا اقنعهم بان ثارهُ كانت خابية تحت الرماد وانها تضطرم اذا سُنح فيها وتنتشر في الآفاق . غير ان ظهورهُ هذا لم يخلُ من فائدة كبيرة فقد تمكّن العلماء من البحث عن علتهِ وكيفية انتشاره بحثاً علمياً مؤيداً بالتجارب ومقروناً بالوسائل الحديثة فاكتشفوا ميكروبهُ اولاً وعلموا الطرق التي يتم بها انتشارهُ ونجحوا في الاساليب الواقية منهُ بعض النجاح واثبتوا ما قيل قبلاً من علاقة الجرذان به حتى يصح ان يقال الآن انهُ مرض الجرذان

لكنهم لم يحققوا مصدرهُ الاصلي فقد قيل قبلاً انهُ يتولد في كل مكان كثرت فيهِ الاقذار وساءت احوال السكان المعاشية. وهذا القول منقوض لا يعوّل عليهِ الآن. ولابدَّ من وجود اماكن هو مستوطن فيها ومنها ينقل الى غيرها . والاوبئة الماضية يمكن اقتفاء خطواتها كلها الى اماكن في العراق العجمي يُعلم ان الطاعون لم يفارقها قط ولكن كيف بلغ بلاد الصين في النوبة الاخيرة . وهناك ادلة كثيرة على انهُ كان موجوداً في ولاية هونان من ولايات الصين وان بلاد تبت وطن آخر من مواطنهِ. وقد يكون لهُ وطن ثالث في بلاد العرب بقرب